16 محرم الحرام 1431هـ - 02 يناير 2010م- العدد: 330-331

آخر حوار أجرته المحجة مع الدكتور فريد الأنصاري في شهر أبريل 2009 قبل ذهابه الأخير إلى تركيا (تتمة)

لكتاب الله عز وجل، وأنا أثق في الله ثقة تامة أنني إن شاء الله عز وجل أتممها من أول الكتاب إلى آخره، أي من سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

● هل ذلك على شكل تفسير أم دراسات قرآنية؟

●● أنا ما سميته تفسيرا، لكن لا شك أن الناس يسمونه تفسيرا كالعادة، فالأمام الطبري رحمه الله كَتب " جامع البيان" والناس أسموه تفسير الطبري، فهو يتحدث عن البيان وعن التأويل ولم يتحدث عن التفسير بالدرجة الأولى، ولا مشاحة في الاصطلاح.

فما أصنعه الآن ليس تفسيرا بالمعنى الدقيق للكلمة، فيه شيء من التفسير، وهو فقرة من فقرات العمل، أسميه عادة: البيان العام، لكن فيه شيء هو مركز الكتاب وهو ما سماه الأستاذ الشاهد البوشيخي بالهدى المنهاجي، عند كل طائفة من الآيات نقف على ما يمكن أن نسميه برسالة الهدى، وقد تكون الآية تحمل أكثر من رسالة، هذا الذي ركزت عليه أساسا، والهدى المنهاجي كما فسره أستاذنا، هو المعالم الرئيسة التي تحدد الوجهة وتعطي لبنات البناء للنفس وللمجتمع في طريق استئناف الحياة الإسلامية وتجديد الدين في المجتمع. فهذا يكون مضمناً في آيات القصص بشكل كبير وفي كل الآيات، حتى في آيات الأحكام، ما من آية في كتاب الله إلا وتتضمن إشارات أو عبارات من المسمى بالهدى المنهاجي. وبعد ذلك أخلص إلى ما أسميته بمسلك التخلق، أي هذا هو الهدى الذي يطلبه الله منا. فكيف يمكن ان نتحقق بذلك خلقا في أنفسنا وفي بيئتنا؟ أتحدث فيه عن الوسائل العملية والمسالك التطبيقية للتخلق بأخلاق القرآن والتحقق بهذه الرسالات الربانية، التي هي رسالة الهدى المنهاجي. وعلى الله التكلان

● لنعد يا شيخ إلى موضوع الشباب. ما هي قراءتكم لواقع الشباب؟

●● الشباب الآن يعاني معاناة شديدة، وما أحسب أن جيل الشباب قد عانى في الأمة عبر التاريخ مثل ما يعانيه اليوم، الذي يحصل للشباب الآن نوع من التسفيه، وليس التجهيل فحسب، أو التفسيق، كل ذلك حاصل، لكن الأخطر هو التسفيه وأقصد به جعل جيل الشباب جيلا من السفهاء، والسفهاء بالاصطلاح القرآني والاصطلاح العام لدى العلماء حينما يتحدثون عن السفيه فيقصدون ذلك الذي لا يحسن تدبير ماله وجميع أموره، فهو إنسان ناقص العقل، أو ناقص القدرة التفكيرية، لا يعرف ما يصلح له، ولا يعرف ما يضره ولا ما ينفعه، فهذا سفيه. ثم بعد ذلك نتحدث عن الدين لأن الدين نزل مناطا بالعقل، والعقل غير موجود عند هؤلاء الآن، **تجد الإنسان بلغ الثلاثين سنة، في مرحلة نهاية الشباب ولا يزال يعيش طفولة في سلوكه، في تفكيره، فهذه أزمة كبرى. وسبب ذلك أمران كبيران:**

- المدرسة: التعليم كان له سبب كبير في تدمير البنية العقلية للجيل.

- الإعلام، الذي أتى على البقية الباقية من عقول هؤلاء الشباب. أعني بالإعلام كل أنواعه، إعلام الأنترنت، وإعلام الفضائيات، وجميع أنواع الإعلام، فالمشكلة أننا نعيش جيلَ سفه يحتاج إذن إلى إعادة بناء العقل أولا، وإعادة تجديد للفطرة التي اغتيلت واخترمت، وإعادة بناء الفطرة تعني بناء الإنسان السوي.

وهذه خطوة ما قبل الصفر. إذا وصلنا إلى نقطة الصفر فنحن تقدمنا كثيرا.

إذا وصلنا إلى نقطة الصفر فمعناه أنه صار على الفطرة، وهي صفحة بيضاء، وهذه الفطرة لها القابلية للخير، كل خير غرستَه يزدهر ويعلو ويثمر، لكن أن تغرس شيئا في غير تربة، على غير أصل، فلن ينتج شيئا. وهذا هو السر في تسمية تلك الكتب التي أصدرتها قبلُ بالفطرية، كأن الفطرية منهج يُعتمد للعودة إلى الفطرة. هذا المصدر الصناعي فيه معنى الفعل والعمل والحركة، من أجل الفطرة، فنحن نعيش أزمة فطرة وأزمة فكرة قبل أن نتحدث عن البناء، لا بد من إعادة الأصل إلى أصله وتسوية النفس الإنسانية، والفطرة البشرية التي فطرها الله عليها.

● يعيش شباب الصحوة في تدينه وفهمه للدين بين الغلو والتفريط. ما هو المنهج الوسط في فهم الدين والتدين؟

●● المنهج الوسط في كتبه ومصنفاته وعلمائه، لكن المشكلة الآن في البيئة التي تصنع الوسطية شبه منعدمة الآن، لأنه لكي يتخرج الإنسان على وسط في دينه وعلى وسط في سلوكه وأخلاقه وفهمه وأحكامه على الناس، لا بد أن يكون على حظ كاف من الفقه في الدين، لأن أسباب الغلو في الدين ترجع أساساً إلى ردود الأفعال المتشنجة وإلى الجهل بالدين وبأحكامه، فلا شك أن الملاحظ يجد أن المسلمين في العالم يعانون ضغطا شديدا وظلما كبيرا على كل المستويات الإقليمية والدولية والسياسية والاقتصادية والإعلامية.. فهذا الظلم العام يُنتج رد فعل متشنج غير متوازن لدى الجهال. لو كان عالما بالدين وبأحكامه حتى لو ظلم ومورس عليه من الاضطهاد يكون له رد فعل، لأن من لا رد فعل له إنما هو الميت، لا بد من رد فعل متوازن حكيم، لكن غياب الفقه بالدين وشيوع الجهل لدى كثير من الشباب بالدين هو ما ينتج الغلو في الدين.

والشباب إما أن ينجرف مع التيارات الهدامة فيكون تاركا لدينه وواجباته اتجاه نفسه واتجاه أمته، وإما أن يستجيب على جانب فيكون من أهل الغلو والإفراط كما كان الآخرون من أهل التفريط، والحقيقة أنه **واجب على العلماء أن ينزلوا إلى الساحة من أجل الأخذ بزمام المبادرة لوضع قطار الدين والدعوة على السكة وعلى الطريق الوسط المعتدل.**

● في سياق قريب من هذا، كيف يجب أن تكون علاقة الشباب بالقرآن الكريم حتى يعيش معه ويتخلق به؟

●● قضية الشباب والقرآن هي أم القضايا في حقيقة الأمر، إن شئنا أن نعرفه نقول هو كتاب التعريف بالله: ربا وإلها ومدبرا حيا قيوما..، وكل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى. قام القرآن ببيان ذلك إما من خلال الأسماء والصفات، وإما من خلال أحكام أو مواقف معينة في قصص الأنبياء والرسل، كل ذلك يعرف بالله عز وجل باعتباره ربا للعالمين، فحينما نقرأ في سورة الفاتحة في كل صلاة: "الحمد لله رب العالمين". هذا المفتتح العظيم به نبدأ، لأن المبدأ يجب أن يكون باسم الله وتعريفا بالله، فلو أُخذ القرآن بحقه وتُلي حق تلاوته لكان له الأثر العظيم في الأمة، في التعريف بالله تعالى. **وحينما يعرف الشباب ربه ويعرف حقوقه سيعرف الشباب نفسه. فما معنى معرفته نفسه؟ سيدرك أنه عبد مخلوق لعبادة الله عز وجل، وللقيام بحقوق الله، وهذا المعنى العظيم إنما يؤخذ من القرآن الكريم. ولهذا كان القرآن مسلكا أساسيا يجب اعتماده في تشكيل عقل الأمة، وسلوكها وتدينها وتجديد وجودها وعلاقتها بربها وعلاقتها بالشعوب والأمم الأخرى**. مرجع ذلك تجديد العلاقة بالقرآن الكريم. صحيح أن هناك دور القرآن والتعليم العتيق..، لكن **لا بد من تفعيل دَور القرآن الكريم والانتقال به من مجرد محفوظ إلى محرك للحفاظ وغيرهم، إلى محرك اجتماعي في الأمة يحيي ما مات منها، والقرآن هو روح هذه الأمة: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾، والقرآن هو جهاد هذه الأمة على جميع المستويات. ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾، فالقرآن هو المسلك والسبيل.**

● ما هي الأولويات التي ينبغي أن يشتغل بها الشباب؟

●● بالنسبة للأولويات التي ينبغي أن يشتغل بها الشباب أقول : لا بد من العودة بالشباب إلى زمن القراءة، لأن القراءة مؤشر يعبر بشكل عميق جدا عن مستوى الجيل من حيث قابليته للخير والنمو بالمعنى الروحي والفكري..، **وجيل اليوم فقد هذه القدرة على القراءة لأسباب متعددة، أنا لا أحمل الإعلام فقط المسؤولية، رغم أنه له دور كبير، ولكن أحمل الدور الأكبر للمدرسة. البرامج المدرسية والتوجيهات المدرسية فيها أشياء كثيرة قتلت روح القراءة في الشباب. من الطفولة في المدرسة إلى الشباب في الجامعة، فحينما يحيل الأستاذ أو المعلم التلميذ أو الطالب على مواقع معينة من الإنترنت أو يكلفه ببحث عن شخصية معينة وعن قضية في الأنترنت .. معناه أنه قتل إرادته وشخصيته وموهبته في البحث**، لا بد من تربية النشء على صحبة الكتاب، من حيث هو وجود ذاتي مستقل عن عالم الأنترنت والفضائيات، لا بد أن تكون النصوص الموجودة في الكتاب المدرسي تحيل على كتب.

أنا أذكر نازلة كان لها تأثير كبير على نفسي وأنا في الابتدائي، أذكر أن معلما كان يدرسنا قطعة من كتاب التلاوة، وكانت هذه القطعة للدكتور طه حسين، ونحن لم تكن لنا خلفية بطه حسين ولا بكتاب الأيام ولا بكتبه الأخرى، لكن هذا المعلم بذكائه جاءنا في يوم من الأيام بالكتاب الأصل الذي أخذ منه هذا النص الذي كان جزءاً من قصة، وكنا نقرأ النص ونتمنى لو عرفنا تتمة القصة، فهو اقتُطع بشكل جيد وتوقف المؤلفون على نقطة حسنة من النص، لكن كنت أشعر بأن وراء هذا النص شيئا، لكن في سني ومداركي لم تكن لي القدرة لأعرف أن هذا المؤلف وهو عبارة عن كتاب، وتعجبنا وقلنا إذن هذا كتاب، ومنذئذ وقع في نفسي عزم كبير على شراء ذلك الكتاب، وفعلا اشتريته، حدث هذا وأنا في السنة الخامسة ابتدائي، وكنت أشتري من الكتب ما جرت العادة الآن أن يشتريه طلاب الجامعة، صحيح لم تكن لي القدرة على الفهم العميق لفلسفة النص وما وراء النص، لكني كنت أجد متعة في ذلك الأسلوب من حيث لا أدري، وكان ذلك يخلق لي عالما أستغني به عن جميع الملاهي بما في ذلك جهاز التلفزيون الذي كان آنذاك محدودا، كان كافيا ليفتن الأطفال والشباب. لكن مع ذلك وبأسلوب المعلم وبدسامة كتاب التلاوة أي المقرر المدرسي، استطاعا هذان الأمران أن ينقلا التلاميذ من مجرد نص محدود إلى فضاء لا ينتهي من القراءة والمؤلفات، كانت البداية الأولى بالنسبة لي للإبحار في عالم القراءة وعالم المكتبات، وحينما انتقلت إلى الإعدادي صار الأمر عندي أعظم وفي سنوات الأولى من الإعدادي بدأت أقرأ لنجيب محفوظ.

فالأزمة الكبرى الآن بالنسبة للأولويات هي العودة إلى زمن القراءة، وتربية النشء على صحبة الكتاب ومحبته، لأن هذا سيسهل عملية الدعوة وإعادة تشكيل العقل الإسلامي وإعادة تجديد الدين ،لأنه حينما ينزل مشروع تجديد الدين على أساس متين من جيل محب للقراءة والكتاب سيكون له شأن آخر بإذن الله عز وجل. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

> **مشروع الأمة، يحتاج إلى جيل، وربما إلى أجيال ولهذا قلت أنا على الطريق، المهم أن يكون الإنسان يخوض الأمر الدعوي في بحر القرآن، ونسأل الله عز وجل السداد والتوفيق حتى نلقاه عز وجل ونحن على منهاج القرآن الكريم.**

> **لا بد من تفعيل دَور القرآن الكريم والانتقال به من مجرد محفوظ إلى محرك للحفاظ وغيرهم، إلى محرك اجتماعي في الأمة يحيي ما مات منها، والقرآن هو روح هذه الأمة: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾، والقرآن هو جهاد هذه الأمة على جميع المستويات. ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾، فالقرآن هو المسلك والسبيل.**